בס"ד

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع
الحاخام جوناثان ساكس

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

نتقدّم إلى عائلة شِمل بجزيل الشُّكر والعِرفان على دَعمهم السخيّ لكتاب "في رِحاب التّوراة" (Covenant and Conversation),
ونُهدي هذا الكتاب لذِكرى الحاخام الراحِل هاري (حايم) شِمل طَيّبَ الله ذِكره.
"لقَد عَشِقتُ تعاليمَ التّوراة التي قدّمها الحاخام حايم شِمل منذُ اللحظة الأولى لاطّلاعي عليها، خاصة وأنه عَملَ جاهِداً على ألا تتطرّق تعاليمه للحقائق السطحية فقط، بل تعمّق في عَلاقتها بالحقائق الموجودة وراءها. وبرِفقة زوجته أنّا، تلك المرأة الاستثنائية ذات الستينّ ربيعاً، فقد أسّس الحاخام حايم حياةً مُكرّسة لحُبّ العائلةِ والمُجتمع والتّوراة، فكانا زَوجينِ مُميّزينِ ومثالاً يُعتدّ به بكلّ ما تحمِلهُ الكلمة من معنى، الأمر الذي كان له عميق الأثرِ عليّ. " - الحاخام جوناثان ساكس

With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.
"I have loved the Torah of R' Chaim Schimmel ever since I first encountered it. It strives to be not just about truth on the surface but also its connection to a deeper truth beneath. Together with Anna, his remarkable wife of 60 years, they built a life dedicated to love of family, community, and Torah. An extraordinary couple who have moved me beyond measure by the example of their lives." — Rabbi Sacks

---

"فَإِتْحَنَن" هو النصُّ الأسبوعي الثاني من كِتاب "دفاريم" (أي سِفر التثنية) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الثالثة والعشرين من المَقطع الثالث وينتهي بالآية الحادية عشرة من المقطع السابع.

قُوَّةُ الـ "لِماذا"

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

يطرحُ المُحاضِرُ الأمريكي سيمون سينك عدداً من الأسئلة خلال أحد عروض TED talk التي تحظى بنسبة عالية من المشاهَدات حول العالم، فيقول: كيف يستطيع القادة العظماءُ إلهامَ الناس للقيام بأي شيء؟[1] وما الذي يجعلُ أشخاصاً مثل مارتن لوثر كينغ وستيف جوبز يتميّزون عن باقي أقرانهم من أبناء جيلهم والذين قد لا يقلّون في موهبتِهم أو قدرتهم أو كفاءتهِم عن هذين الرجلين؟ ثم يستطردُ مُجيباً: إن غالبية الناسِ يسألون **"ماذا\ما"**، وبعضهم يسألُ **"كيف"**، في حين أنّ القادة العُظماء هم من يبدأونَ بِـ **"لماذا"**، وهذا ما يجعلهم قادةً وصُنّاع تَغيير.[2]

وهذه المُحاضرة لسيمون سينك كانت عن عالم الريادة والأعمال والقيادة السياسية، لكن أكثر الأمثلة قُوّة في محاضرته كانت أمثلة دينية بشكلٍ مُباشر أو غير مُباشر. ولقد ناقشتُ في كتابي "الشراكة العظيمة"*(The Great Partnership)*[3] موضوع العقيدة الإبراهيمية التوحيدية وأن ما يجعلها مُختلفة عن غيرها من العقائد هو أنها تؤمنُ **بوجود** إجاباتٍ للأسئلة التي تبدأ بـ"لماذا". فالكونُ والحياةُ البشرية ليسَت أموراً عديمة المعنى، كما أنها لم تأتِ من قبيل الصدفة. ومثلما وضّحَ فرويد وأينشتاين ولودفيغ فيتغنشتاين فإنّ العقيدة الدينية هي العقيدةُ القائمة على وجود مَعنىً للحياة.

وقَلّماَ نجِدُ هذه الفكرة بهذا العنفوان والتركيز مثلما نراه في نَصِّ **فَإِتْحَنَن**، إذ أن قَدراً كبيراً من الديانة اليهودية يتمحور حول الأسئلة التي تبدأ بِـ **"ما\ماذا"**: ما هو المَسموح وما هو المحظور؟ ما هو المُقدّسُ الديني وما هوَ الدُّنيوي؟ وهنالك قدرٌ كبيرٌ أيضاً من الديانة اليهودية يتمحور حول الأسئلة التي تبدأ بِـ **"كيف"**: كيف نتعلّم؟ كيفَ نُصلّي؟ وكيف نزدهرُ في علاقتنا بالله عزوجلّ وبغيرنا من البشر؟ في الوقت نفسه، يوجد قدرٌ قليلٌ نسبياً من الديانة اليهودية يتطرّقُ إلى إجابة الأسئلة التي تبدأ بِـ**"لماذا".**

وفي نَصِّ **فَإِتْحَنَن** الذي نتطرّقُ له في هذه المقالة فإننا نرى أن موشيه/موسى يتكلّمُ بأكثر الكلماتِ إلهاماً فيما يتعلّقُ بالسبب الكامن وراءَ الوجودِ اليهوديّ، وهذا ما جعلهُ القائد المُغيِّرَ فِعلاً، وهذا أمرٌ كان له أثر عميق على وجودنا في هذا المكان وفي هذا الزمان.

وحتى نستشعر مدى غرابة الكلمات التي استخدمها موشيه فإنه ينبغي علينا أولاً أن نستذكر عدداً من الحقائق، فبنو يسرائيل لا زالوا موجودين في الصحراء ولم يدخلوا إلى أرض الميعاد بعد. كما لم يكُن لديهم أي تَفَوّق عسكريّ على الأقوام التي سيُحاربونها، ثمّ إنّ عشرةً من العيون الاثني عشر ظَلّوا مُصرّين على مدار أربعين عاماً على حقيقة استحالة دخولهم أرض الميعاد. وفي عالمٍ من الإمبراطوريات والأقوام والشعوب والقِلاع المُحصنة، كان بنو يسرائيل يظهَرون أمام غيرهم وكأنهم قومٌ بؤساءُ لا يمتلكون الجدارة للقتال ولا يختلفون عن سائر القبائل الأخرى التي كانت ترتحلُ من مكان لآخر في آسيا وأفريقيا قديماً. وباستثناء طُقوسهم الدينية المميزة، فإن عدداً محدوداً من المُهتمّين بأمرهم في تلك الحقبة كانوا قادرين على رؤية أوجه الاختلافِ التي تميّزهم عن اليبوسيّين والفرزيّين والمديانيّين والمؤابيّين وغيرهم من الأقوام التي عاشت على تلك البقعة من منطقة الشرق الأوسط.

لكن في **هذا** النصّ الأسبوعي من نصوص التوراة نجدُ موشيه يوضِحُ حقيقةً راسخة مفادها بأن ما مَرّ به بنو يسرائيل سيُلهِمُ العالَم ويغيّرهُ بنهاية المطاف، ولنُصغِ جيّداً إلى أسلوبه في الحديث حين يقول:

"والآن فاسأل عن الأيام الأوائل التي سلَفَت من قبلك، من يوم خلق الله آدم على الأرض ومن طرف السماء إلى طرفها، هل كان قَطُّ مثل هذا الأمر العظيم أو سُمِعَ مِثله؟ هل سَمِعَت أُمّةٌ صوتَ الله مُكلّمها من وسط النار كما سمعته أنتَ، فعاشت؟ أو رفع الله لها علماً بان ظهرَ فتخلصُ له أمة من بين أخرى، بأعلام وآيات وبراهين وملحمة ويدٍ شديدة وذراع ممدودة ومخاوف عظيمة، كما صنع الله ربّكم بمصر بحضرتكم؟" (مثلما تخبرنا الآيات 32-34 من المقطع الرابع من سفر التثنية)

بالتالي كان موشيه على قناعة تامة بأن التاريخ اليهودي كان وسيظلّ تاريخاً فريداً. وفي عصر الإمبراطوريات نجدُ هذه الجماعة الصغيرة المُستضعفة قد تحرّرت ونجحت في كسر سلاسل العبودية حين تحررت من ظُلم واحدة من أعتى الإمبراطوريات التي عرفتها البشرية، لكنهم لم يتحرروا بفضل قوّتهم بل كان بفضل جبروت الله عزّ وجلّ ذاته. وهنا تظهرُ الفكرة الأولى التي أراد موشيه أن يُسلّط الضوء عليها: تميّزُ التاريخ اليهودي باعتباره رواية للخلاص، أما النقطة الثانية فكانَت في تميّز التجلي الإلهي لبني يسرائيل، حيث يقول:

"أي أمّةٍ كبيرةٍ لها إلهٌ قريبٌ منها كالله ربّنا، متى دعوناه. وأي أمة كبيرة لها رسومٌ وأحكام عادلة كجميع هذه التوراة التي أنا أتلوها عليكُم اليوم؟" (مثلما تخبرنا الآيتان 7-8 من نفس المقطع ونفس السفر).

لقد كانت هنالك آلهة لباقي الأقوام، آلهةٌ تضرّعوا لها وقدّموا لها القرابين ونَسَبوا إليها نجاحاتهم العسكرية في الحروب. لكن لم يوجد أبداً أي قومٍ رأوا الله عزّ وجلّ كحاكمهم ومصدر تشريعهم. وفي حالات أخرى فإن القانون كان بمثابة مرسوم يُصدره الملك، أو ربما (كما في القرون المُعاصرة) صار القانون مصدره رغبة الناس وإرادتهم. أما في حالة بني يسرائيل فالوضع مُختلف تماماً، إذ حتى عندما كان هنالك ملكٌ يحكمهم فإنه لم يكن يتمتع بأيّ سلطة تشريعية. وبمنتهى التميّز لم يكُن يُنظَرُ إلى الله عزّ وجلّ على أنه قُوّة عُظمى فحسب، بل يُنظر إليه على أنه المهندس المعماري الذي يُصمِّم المُجتمع، والمُوزع لألحان موسيقى العدالة والرحمة والحرية والكرامة فيه. والسؤالُ الذي يطرح نفسه هُنا: لماذا؟

يُجيبُ نبيه الله ورسوله موشيه في ختام هذا المقطع بالتالي: **"وذلكَ بعدَ ما أحَبّ آباءكَ واختارَ نسلهم من بعدهم"** مثلما تُخبرنا الآية السابعة والثلاثون من المقطع الرابع من سفر التثنية. بمعنى آخر، لقد أحبّ الله عزّ وجلّ أقْرهام/إبراهيم، كما أن أقْرهام على وجه الخصوص كان مُحِبّاً جداً لله. ثُمّ أحبَ اللهُ أبناء أقْرهام ومن انحدر من نسله ونسلهم لأنهم أبناؤهُ، فوعد اللهُ عزّ وجلّ إبراهيمَ بأن يحميَهم ويحفَظَهم ويُباركَهم.

لكننا نجدُ أن موشيه قد بيّن إجابة مُختلفة لهذا السؤال في موضعٍ سابق، إجابة لا تتناقضُ مع الإجابة المذكورة في الموضع اللاحق لكنها مُختلفة عنها قليلاً، حيث يقول:

"انظُروا قد علمتكم رُسوماً وأحكاماً كما أمرني الله ربي، لتصنعوها في البلد الذي أنتم ذاهبون إليه لتحوزوه. فاحفَظوها واعملوا بها لأنها حِكمتكم وفهمُكُم بحضرة الأمم، إذ إن سمعوا هذه الرسوم يقولونَ يقيناً أنّ هذا القبيل الكبيرَ شعبٌ حكيمٌ فهيمٌ" (تبعاً لما تذكر الآيات 5-6 من نفس المقطع ونفس السفر).

لكن لماذا يكترثُ الله عز وجل وموشيه بأهمية رؤية الأقوام الأخرى لمدى حِكمة وفَهمِ القوانين التوراتية من عدمها؟ إنّ اليهودية هي بمثابة قصة حُبٍّ كانت ولا زالت قائمةً بين الله عزّ وجلّ وشَعبٍ مُحدَّد، وهيَ علاقة عاصِفة في الكثير من الأحيان إلا أنها هادئة وعادةً ما تكون مُبهجة، إنها علاقة ذاتية تقوم على القُربِ والحميمية. بالتالي ما صِلةُ بقيّة الشعوب بهذه العلاقة؟

في الحقيقة توجدُ صِلةٌ لبقية شعوب الأرض بهذه العلاقة، فاليهودية لم يكُن يُقصدُ بها اليهودُ وحدهم. وفي بداية كلام الله عز وجل مع أفرهام نجده يقول له في الآية الثالثة من المقطع الثاني عشر من سفر التكوين: **"وأبارِكُ مُبارِكيك، وألعنُ شاتِميك، ويتبارَكُ بكَ جميع عشائر الأرض".** بالتالي ينبغي على اليهودِ أن يكونوا مصدراً للبركة لبقية شعوبِ وأقوام الأرض. كما أن الله عزّ وجلّ هو رَبُّ الإنسانية جمعاء، ففي سِفر التكوين يُخاطِبُ آدم وحفاه/حواء وقاين/قابيل ونوح ليُقيمَ العهدَ مع جميع البشرِ قبلَ أن يُقيمَ عهداً مع أفرهام. وفي أرض مصر نجدُ يوسف يتحدّثُ عن الله عزّ وجلّ باستمرار، سواء عندما كان قابِعاً في السجن أو عِندما سكن بيت پوتيفار أو قصرَ فِرعون، لأنه أراد للمصريين أن يعلموا بأنه ليس له فضلٌ فيما حدث معه، وبأنه مُجرد خليفةٍ لله ربّ يسرائيل. بالتالي لا نرى هُنا ما يُشيرُ بأنّ الله عزّ وجلّ ليسَ مُكترثاً ببقية شعوب الأرض.

وتبين لنا الآية الخامسة من المقطع السابع من سفر الخروج كيف أن الله عزّ وجلّ تحدّثَ بعد ذلك خلال فترة حياة موشيه بأنه سيُظهر آياته ومُعجزاته حتى **"يعلم *المصريون* أني الله".** ثم أمرَ يرمياهو/إرمياء بأن يكونَ "نبياً لباقي الشعوبِ". كما بعثَ يوناه/يونس إلى الأشوريين في نينوى، وأرسل عاموس ليبعثَ رسالة توبيخه إلى بقية الشعوب قبل أن يبعثَ برسالة توبيخِه إلى يسرائيل. وفي أحد أروع النبوءات التي يذكرها التناخ*، نجدُ أن الله قد أرسل نبيه يشعياهو/إشعياء برسالة مفادها بأنه سيأتي زمنٌ يُبارِكُ الله فيه أعداء يسرائيل، تبعاً لما تذكره الآية السادسة والعشرون من المقطع التاسع عشر من سفر إشعياء: **"بِها يُبارِكُ رب الجنودِ قائلاً: مُبارَكٌ شعبي مصر، وعملُ يَدي أشورَ، وميراثي يسرائيل".**

وعليه، فإن الله عز وجلّ يأبه ويكترثُ بالبشرية جمعاء، ومن هذا المنطلقِ فإن ما نقومُ به كيهودٍ يصنعُ فرقاً في البشرية بأكملها، ليسَ فقط من ناحية روحية بل من ناحية وجوب أن نكونَ مثالاً ونموذجاً لمعنى محبتنا للّه عزّ وجلّ ومحبّته لنا، فتَنظُرُ بقية شعوب الأرض إلى اليهود ليَستشعروا وجود قوّة عُظمى في حياتهم عبر التاريخ، وهذا ما عبّرَ عنهُ الأديب الراحل ميلتون هِملفارب حين قال:

> كُلّ يهوديّ يعلم جيّداً كم أنه إنسانٌ عاديّ جداً، لكن إذا نظرنا لحياتنا الجماعية كيهود فإننا نبدو وكأننا موجودون وسط أمور عظيمة غير قابلة للتفسير... إن عدد اليهود في العالم لا يتجاوز العدد الناتج عن خطأ إحصائي صغير في تعداد سُكّان الصين، لكننا نظلُّ أعظمَ من عَدِدنا بكثير، وهنالك أمور عظيمة تبدو وكأنها تحدثُ حولنا ومعَنا طوال الوقت. [4]

في الوقت نفسه، فإنه لم يُطلَب منّا أن نجعل العالم يعتنق الديانة اليهودية، بل طُلِبَ مِنّا أن نكون مصدر إلهامٍ للعالم وهذا ما وضّحهُ النبي زخاريا/زكريا حين قال بأنه سيأتي زَمَنٌ **"يُمسِكُ عشرة رجال من جميع ألسنة الأمم بِرِداءِ رجلٍ يهودي قائلين: سنذهبُ معكُم لأننا سمِعنا أنّ الله معكُم"** بحسب ما يذكره سفر زكريا في الآية الثالثة والعشرين من المقطع الثامن.

***مُلاحظة توضيحية من المترجم: التَّناخ** هي كلمة تختصرُ الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نڤيئيم، كتوڤيم"(أي التوراة والأنبياء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهوديّ المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخُروج وسِفر اللاويين وسِفر العدد وسِفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سِفر يوشَع، وسِفر القُضاة وسِفر صموئيل الأول والثاني وسِفر المُلوك الأول والثاني وسِفر إشعياء وسِفر إرميا وسِفر حزقيال، وسِفر اثني عشر الأنبياء الاثني عشر الأواخر. ويُضاف لها أسفارُ الكتابات، والتي تضمّ الهاغيوغرافيا، أي كُتُب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضمّ أحد عشر كتاباً، وهي سِفر المزامير، وسِفر الأمثال، وسِفر أيوب، وسِفر روث (راعوث)، وسِفر نشيد الإنشاد، وسِفر الجامِعة، وسِفرُ مراثي إرميا، وسِفر أستير، وسِفر دانيال، وسِفر عِزرا ونحميا، والجُزء الأخير من التَّناخ يضم أسفارِ تدوين التاريخ. بالتالي يضمّ التناخ بين ثناياه أربعة وعشرين سِفراً (كتاباً).

بالتالي فإن عملنا يتمثل في أن نكونَ سُفراءَ لله عزّ وجلّ في هذا العالم، وأن نكونَ شاهدين عبر أسلوبِ حياتنا على قُدرة جماعةٍ ضئيلةٍ من البشر على البقاء والصمود بل والازدهار خلال أصعب الظروف وأشدها قسوة، وقدرتهم على بناء مُجتمع حُرٍّ لكن حرياته محكومة بالقوانين والنظم، هذه الحريات التي نتحمّل جَميعنا مسؤولية جماعية تجاهها بحيث **"تصنعُ الحقَ وتُحِبّ الرحمةَ وتسلكَ مُتواضِعاً مع إلهِك"** بحسب ما تُخبرنا الآية الثامنة من المقطع السادس من سِفر ميخا. لهذا نجدُ أن نَصَّ **فَإِتْحَنَن** هو بمثابة الرسالة للمنظومة التي يحملها ويمثلها الشعب اليهودي.

وهنالك من لا زالوا يجدون الإلهام فيها، والخلاصة التي توصلتُ إليها عبر سنين عُمري التي خضتُ غمارها وسط مناحي الحياة العامة **هي أن غير اليَهود يحترمون اليهود الذين يحترمون اليهودية**، وهُم يستصعبون فهم الأسباب التي تجعلُ بعض اليهود يتخلّون عن دينهم ليعرفوا أنفسهم بهوية عِرقية بَحتة رغم أنهم يعيشون في بُلدان تحظى بحرية دينية حقيقية. ومن منظوري الشخصي فإنني أؤمنُ بأن العالم في حالته الحالية من الاضطراب بحاجة ماسّة للرسالة اليهودية التي يطلبُ الله عزّ وجلّ منا عبرها **أن نكونَ مُخلصين لعقيدتنا ونُبارِك غيرنا بِغَضّ النظر عن مُعتقداتهم**. ولو تصوّرنا عالماً يؤمنُ فيه الجميع بهذا المبدأ لكان هذا عالماً مُختلفاً تماماً.

ونحنُ اليهودُ لسنا مُجرد أقلية عِرقية، بل نحنُ القومُ الذين وضعوا أُسس حُرّيتهم استناداً إلى تربية أبناءهم على المحبة، لا على الكراهية. ومُعتقدُنا يُقدّسُ الزواج والعائلة ويتطرّق للمسؤوليات والواجبات قبل أن يتطرّق للحقوق. كما أنهُ المُعتقد الذي يملكُ رؤية لإنهاء معاناة الفقراء والنهوض بهم باعتبار ذلك واجِباً دينياً، فمثلما وضح الحاخام الكبير موشيه/موسى بن ميمون فإنه لا يُمكن لأحد أن يُفكّر بحالة من السموّ الروحاني وهو وحيدٌ أو مَريضٌ أو حينما يكون مُتشرداً يتضور جوعاً.[5] إننا لا نقومُ بهذه الأمور لأننا مُحافِظون أو لِبراليون، أو لأننا جُمهوريون أو ديمقراطيون، بل لأننا نؤمنُ بأن هذا ما يُريدنا الله عزّ وجلّ أن نَفعله.

وتوجدُ الكثير من النصوص التي تتطرّق إلى الـ**"ماذا"** والـ**"كيف"** المتعلقة باليهودية، لكنها جميعها أمور لا تُذكَر إذا ما قورنت بالـ**"لماذا".** وموشيه في آخر شهرٍ من شهور حياته شدّد على أهمية تعليم **الـ"لماذا"،** وهكذا يكونُ القائدُ العظيم مصدر إلهامٍ للعملِ منذ زمنه حتى يومنا هذا. لذلك، إذا أردتَ أن تُغيّرَ العالم فعليكَ أن تبدأ بِـ "لماذا".

---

1. https://www.youtube.com/watch?v=u4ZoJKF_VuA.
2. For a more detailed account, see the book based on the talk: Simon Sinek, Start with Why: How Great Leaders Inspire Everyone to take Action (New York: Portfolio, 2009).
3. Jonathan Sacks, The Great Partnership: Science, Religion, and the Search for Meaning (New York: Schocken Books, 2012).
4. Milton Himmelfarb and Gertrude Himmelfarb, Jews and Gentiles (New York: Encounter, 2007), 141.
5. Maimonides, The Guide for the Perplexed, III:27 (الحاخام موشيه/موسى بن ميمون – كتاب دلالة الحائرين)

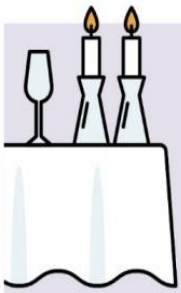

حَولَ مائِدةِ يومِ السّبتِ المُقَدَّسِ: أَسئِلةٌ لِلتَّأمُلِ

1- لماذا اختار موشيه/ موسى توضيح مدى أهمية طرح السؤال "لماذا" في الديانة اليهودية في هذه المرحلة من مراحل التوراة على وجه التحديد؟
2- لو طَلِبَ منك أن تُلخَّصَ الديانة اليهوديّة في بعض العبارات، فماذا ستكتب؟
3- هل تعتقد أن الشعب اليهودي والديانة اليهودية يمتلكون تأثيراً على العالم في وقتنا الحالي؟ وكيف؟

● These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at **https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/vaetchanan/the-power-of-why/**

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*